مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 04 عدد: 07 السنة 2018 DOI :

الخصائص السوسيومهنية للجماعة السلفية في ولاية تيسمسيلت – جماعة مرجعية في طور النشوء -

The Physiologie caractéristiques of the Salafi group in Tissemsilt/ An emerging reference community.

الجيلالي كرايس، المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر

kerais2014@hotmail.fr

الملخص:

تأتي هذه الورقة في إطار المحولات السوسيولوجية المتتبعة، للحراك السلفي في المجتمع الجزائري، حيث ومن خلال عملية الملاحظة، يمكن القول: إن ما يعيشه السلفيون كجماعة هامشية تقع على أطراف المجتمع الأصلي، وهي هامشية لا تعني الإنسحاب، بقدر ما تعني تبني نمطية معينة في العيش، وفرض نموذج من العلاقات الترابطية بين أفراد الجماعة، التي تعتبر صغيرة العدد، لكن من ناحية الممارسات اليومية المثقلة بكل ما هو ديني، يمكن القول: إنها جماعة لها وجود وحضور، خاصة أنها استطاعة الانعتاق من ثقافة المجتمع، وتكوين بيئة خاصة بها، عن طريق التشابه والتماثل، ورسم حدود واضحة مع المجتمع الأم، حيث نجد السلفين قد أسسوا لثقافة تقوم على العمل المشترك، ومحاولة الممازجة بين الديني والاقتصادي، وتحويل العلم الشرعي إلى الأساس الذي تنبني عليه الجماعة وتأخذ تراتبيتها، بالإضافة إلى درجة عالية من التضامن والتعاون بين أفرادها، في نوع من محاولة لفت انتباه المجتمع، ودعوة مزيد من الأفراد إلى الانخراط في صفوفها، عن طريق بناء جماعة جديدة لها محددتها السوسيومهنية الخاصة بها.

الكلمات المفتاحية: الجماعة السلفية، الجماعة المرجعية، الهامشية، العلم الشرعي، الدعوة.

abstract

This paper comes un the framework of the sociological transformations that follow the salafi movement in the Algerian society, Through the process of

observation it canim be said that what salafis live as a marginal group located on the outskirts of the original community And thid marginal does not mean pulling out as much as it means adopting a certain standard of living ,and impose a model of interrelationships between members of the group ,which are small.But in terms of daily practices burdened with everything religious ,it can be said that this group has a presence and and existence Especially since it has been able to free itself from the culture of society And create their special environment with similarity and symmetry And make clear boundaries with the mother community Where tha salafists found a culture based on joint action and the attempt to merge religious and economic, and converting the forensic science to the basis on which the group build and takes its ranks .Also a high degree of solidarity And coopération between their members in kind of keep the attention of the community And to invite more individuals to join its groups by forming a new group with her spécial physiology.

Key words: Salafi group, Reference group, Marginal Forensic, science, Proselytize.

مقدمة:

إذا انطلقنا مما ذهب إليه أنطوني غيدنز حول نشوء الشعوب والأمم، التي ليس لها دولة، نجده يشير إلى أن هذا النشوء على صلة وثيقة بالعولمة، التي أدت إلى انبعاث الهويات المحلية، لتحقيق نوع من الأمان في عالم متسارع التغيير[1] حيث أن فقدان الثقة في المجتمع، غير واضح المعالم يودي إلى إيجاد تجمعات صغيرة، لكنها قوية من حيث الترابط والتلاحم، حيث يرى إميل دوركاييم أن القيم تقوي عروة الترابط في الجماعة، وتؤكد تماسكها والعناية بحياتها من خلال الحياة الروحية[2] وغذا عدنا إلى الجماعة السلفية في ولاية تيسمسيلت، نجدها تتمتع بهذه الخصائص كون المجتمعات المغاربية تعرف هذه النزاعات الدينية منذ القدم، إذ عرف المغاربة العديد من المعتقدات، التي لها صلة بمجال حياتهم ولم يكن سكان منطقة الونشريس بمنأى عن هذه الظواهر والطقوس والمعتقدات. فمنطقة الونشريس و تيسمسيلت جزء لا يتجزأ من المغرب القديم[3] واليوم نجد الجماعة السلفية، التي هي جماعة في طور النشوء، وذلك لمحدودية عدد المنخرطين فيها، إلا أن ما يزيد من قوة نشاطهم تلك الانصياعية والخضوع لتوجيهات المشايخ وطلبة العلم المتقدمين، حيث يمكن اعتبار علماء السلفية، بمثابة الصفوة التقليدية، التي تنبثق عن عقائد دينية أو أبنية اجتماعية تعود

جذورها إلى ماضي سحيق، وتتزعمها أفكار عميقة[4] وهو ماضي مرتبط بمرحلة مقدسة عند كل المذاهب والفرق الاسلامية، إنها مرحلة صدر الإسلام، ولذلك نجد السلفيين يرفضون الانخراط أو الانزواء في منظمة رسمية أو حزب، فهم يعتقدون أنهم يمثلون الأمة، ولذلك نجدهم بعيدن عن أي تنظيم رسمي أو قانوني حيث يرى الدكتور محمد الجوهري: أن من أبرز سمات الجماعات الغير الرسمية هو عدم قابليتها للتنظيم[5] ورغم عدم الوضوح في شكل هرمية منظمة أو قانونية، إلا أن للجماعة السلفية جملة من الخصائص، التي تميزها عن المجتمع العام، وترسم بينها وبينه حدود وفواصل، فمن جهة هي غير واضحة وغير رسمية، لكنها تفرض حدودا أو مسافة للأمان بين المجتمع المركزي، وبين جماعة هامشية في مرحلتها الجنينية وهي خصائص توحي وتشير إلى وجود روح جماعية تتحكم في هذه المواقف والقرارات[6] من هنا يمكن طرح السؤال التالي: **ما هي الخصائص السوسيومهنية التي تتميز بها الجماعة السلفية، في ولاية تيسمسيلت؟**

الفرضية: الجماعة السلفية في ولاية تيسمسيلت مندمجة إجتماعيا ومنسحبة ثقافيا ودينيا.

المدخل النظري: اعتمدنا في هذه الورقة على تصورات اميل دور كايم للدين، كضابط اجتماعي، ومحفز على تكون الجماعة والحفاظ على ترابطها وتلاحمها.

المنهج: لقد اعتمدنا على المنهج الوصفي، كوننا بصدد وصف جماعة وطريقة عيشها. بالإضافة إلى المنهج الإحصائي.

العينة: اعتمدنا على العينة الاحتمالية، عن طريق الكرة الثلجية، حيث حددنا مجموعة من السلفين في مدينة خميستي، كعينة مرجعية ثم عن طريقها تعرفنا على باقي افراد العينة، الموزعين على خمس مدن: خميستي 90 مبحوث، تيسمسيلت 30 مبحوث، العيون 20 مبحوث، ثنية الحد 30 مبحوث، اولاد بسام 20 مبحوث، أي بمجموع 200 مبحوث لكننا استرجعنا فقط 164 استمارة فقط.

التقنية: اعتمدنا على تقنية الاستمارة المغلقة.

1- التدين السلفي وفكرة استقطاب الشباب:

يعتبر الشباب في أي حراك اجتماعي، عنصرا أساسيا، تعول عليه مختلف النخب وتسعى، إلى استمالته فكريا وايدلوجيا، وذلك من خلال تقديم أطروحات ومشاريع تعطي لشباب مكانة اجتماعية تليق بطموحاته، خاصة أن مرحلة الشباب هي مرحلة تتميز بتحولات عميقة، يسعى

من خلالها الإنسان وهو في مقتبل العمر إلى تبني أساليب عيش مغايرة لما هو سائد. فالشباب تواق إلى الانعتاق والتحرر من مختلف البنى الاجتماعية والثقافية، التي يشعر أنها تحد من حريته وتقدم له نماذج جاهزة، ما عليه إلا الانخراط فيها، كما أن مرحلة الشباب هي مرحلة حساسة، إذ يتميز فيها الفرد، بالشعور بالذات، ورقة المشاعر والاستعداد للتضحية، في سبيل اختيار مسار حياته، التي تبدأ بالبلوغ وتنتهي بالرجولة[7] وبذلك فإن أي جماعة سياسية أو دينية تسعى إلى استمالة الشباب وتجنيدهم، حيث يكونون على استعداد، لتبني أفكار جديدة متمردة عن المنظومة التقليدية، وهذا ما سنجده منعكسا على واقع الجماعة السلفية في ولاية تيسمسيلت. حيث يمكن تصنيفها على أنها جماعة شابة إذ أن عينة الدراسة تعتبر في مجملها عناصر شبانيه، إذ يشكل من هم بين 20 إلى 29 سنة ما نسبته 41.5 % من مجموع المبحثين، بينما يشكل من هم بين 30 إلى 39 سنة نسبة 42.1 % وإذا عدنا إلى المرحلتين العمريتين نجدهما تقعان داخل مرحلة الشباب وهذا ما يشير إليه جدول رقم 01 بينما لا يشكل من هم أكثر من 40 سنة وصولا إلى 60 سنة نسبا تتراوح 2.2 % وصولا إلى 0.6 %مما يشير إلى أن التدين السلفي، هو نمط من التدين يستهدف الفئات الشابة وهو أكثر انتشارا بينها، من الفئات العمرية الأخرى، خاصة الكهول والشيوخ الذين يتبنون نمط ديني تقليدي.

جدول01: توزيع المجموعة حسب السن و الجنس

2- السن	الجنس				المجموع العام	
	ذكر		أنثى			
	%	العدد	%	العدد	%	العدد
1-أقل من 20سنة	2	1,6%	1	2,4%	3	1,8%
2-(20 - 29)	44	36,1%	24	57,1%	68	41,5%
3-(30 - 39)	54	44,3%	15	35,7%	69	42,1%
4-(40 - 49)	18	14,8%	2	4,8%	20	12,2%
5-(50 - 59)	3	2,5%	-	-	3	1,8%
6-(60فما فوق)	1	0,8%	-	-	1	0,6%
المجموع العام	122	100,0%	42	100,0%	164	100,0%

وهو يميل إلى المحافظة على النظام الديني السائد، المرتبط بمؤسسة المسجد، كمؤسسة دينية لا تزال خاضعة للإطار الرسمي، بينما يميل الشباب الذين يشعرون بوجود نوع من الإقصاء والتهميش الممارس في حقهم، إلى التدين الحر، لذلك نجدهم يتبنون أنماط مغايرة لما هو سائد، خاصة في وجه كبار السن، الذين يعكسون صورة الوصي أو المهيمن على المجال

الديني، بينما هناك توجه عام يعتبر الشباب غير ملتزمين دينيا، و أنه لا يحق لهم تولي مسؤوليات دينية، إلا من خلال إتباع الأجيال السابقة. أي أن الشباب لا يمكن أن يكون نموذج ديني صالح، إلا إذا تخرج من المؤسسات التقليدية واعترف بالهيمنة التي يمثلها كبار السن، ولم ينازعهم في السلطات، ولم يناقشهم في معرفتهم الدينية، وذلك نجد النموذج السلفي، الذي يسطر عليه فئة عمرية شابة، لا يعترف بهذه التراتبية الهرمية للمجتمع، وهو لا يربط عامل السن بمسألة التدين، إذ نجده في الكثير من الأحيان لا يعترف بالمؤسسات التقليدية، وهنا يمكن العودة إلى مقاربة الباحث الجزائري ناصر جابي حول صراع الأجيال حيث يرى أن الجيل الثالث، هو جيل الشباب، يحاول ابتكار أساليب جديدة للتعبير عن رفضه لسياسة الجيل الأول[8].

إذ يمكن اعتبار التكتل على أساس متغير الدين، أو نمط التدين، أصبح من بين تلك الأساليب التي يتبناها الشباب للتعبير عن استقلالية كينونته، وانعتاقها من السلطة الرقابية، التي يمارسها مجتمع معروف بعقليته الأبوية، ومحاولة الأب توجيه سلوك الإبن، واعتباره قاصر وغير قادر على تحقيق الخيارات الصائبة، بما فيها العلاقات الروحية، فالأب يعتقد أنه يعرف طريق الخلاص أو الطريق إلى الجنة، وهو يسعى إلى نقل هذه المعرفة إلى الابن، إلا أن التغيرات الحاصلة داخل المجتمع، جعلت الابن بصفته كتلة عمرية، يبحث عن مصادر أخرى للخلاص، معتمدا على تجربته الذاتية. حيث يعتبر الشباب اليوم أكثر ابتعادا عن الإسلام التقليدي الذي لم يعد يجب عن أسئلتهم وانشغالاتهم الفقهية[9].

وإذا عدنا إلى واقع ولاية تيسمسيلت، نجد الظاهرة السلفية منتشرة في مختلف مناطق الولاية، في شكل مجموعات شابة أو في مقتبل العمر، ولذلك يمكن اعتبارها ظاهرة في طور النشوء، خاصة أنها لا تعتمد على هيكلة تنظيمية، أو ما يعرف بالقيادة الرسمية، بل كل ما هنالك مجموعة من الشباب يشكلون نمطا واحدا، من حيث اللباس ونظرتهم إلى المجتمع. فهم ومن خلال النصوص المرجعية، التي يعتمدون عليها يعتبرون الإسلام قد فقد فاعليته، بسبب تراجع العلم الشرعي، وهيمنة نوع من الفقهاء التقليديين، الذين يعتمدون على إصدار فتاوى شرعية، بعلم أو بدونه، وهذا ما أشار إليه الباحث عبد الهادي أعراب من خلال نموذج الفقيه بين التوفيق والتلفيق والسؤال المستجد.[10] وبذلك فإن الخطاب السلفي، يقدم نفسه كنزعة تبشيرية إصلاحية مهمتها إنقاذ الدين من مسألة الاندثار، ولذلك فإن العقل السلفي، من خلال نموذج الشباب، الذي يشعر بعقدة القصور وهو من جهة أخرى متأثر بالماضي الإسلامي ومن خلال الإسقاطات، التي يجريها هذا العقل، الذي يعتبر أن التدين السلفي ما هو إلا دعوة متجددة، للالتزام بالإسلام الأول. وإذا عدنا إلى الدعوة المحمدية فإن أغلب من تبنوا

الإسلام في بدايته هم من الشباب، بالإضافة إلى الموالي والعبيد خاصة أن الشباب يتوق دائما إلى المثل العليا، وإلى ما هو أرقى عقديا وأخلاقيا[11].

وهنا نجد عينة البحث من أصل 164 مبحوث، هنالك شخص واحد فقط، ما فوق الستين سنة، على مستوى الذكور بنسبة 0.8%، بينما يغيب هذا العنصر لدى الإناث، وهذا ما يمكن تلمسه من خلال الملاحظات الميدانية، حيث نجد فئة كبار السن دائما على خلاف مع المنتمين إلى السلفية، إذ نجد نوع من المقاطعة للمساجد التي يسيرها السلفيون، فهناك وسم اجتماعي يرافق المتدين السلفي، فطريقتهم في التدين ماهي إلا " دين الذراري " فالمجتمع ومن خلال فكرة تقدير كبار السن، الذين يتخوفون من كل أشكال التغيير الفجائية، يحكمون على التدين السلفي الأكثر انتشارا بين الشباب، بأنه مجرد ردة فعل، تبحث عن لفت الانتباه لا أكثر ولا أقل، بينما الشباب السلفي، يعتبر أن مسألة احتكار الدين من طرف كبار السن، وإظهاره في شكل ممارسات معقدة، تحتاج إلى نضج وإلى نوع من الحكمة، ما هو إلا نوع من أنواع الاحتكار للمعرفة أو الحقيقة المطلقة، وبذلك توظيفها لخدمة مصالحهم، وهنا يمكن إدخال هذه العلاقة ضمن ثنائية القوى المعادية، التي تستفيد من نصوص الدين لتقهر الجنس البشري[12].
وبذلك فإن من أهم خصائص الجماعة السلفية الدعوية في ولاية تيسمسيلت، أنها جماعة شابة في مواجهة مجتمع أبوي متسلط، حيث أن معدل السن لدى هذه الجماعة، هو 32.3% بينما يشكل لدى الذكور 33.4% ولدى الإناث 29.4% أي أن العنصر السلفي أو التدين على الطريقة السلفية، في هذه الولاية، المعروفة بالحضور الصوفي الكبير، وانتشار الزوايا والأضرحة، ما هو إلا تجربة دينية في بدايتها الأولى، تسعى إلى خلق نظام ديني جديد، يكون الشباب فيه هو الفئة المهيمنة، و هو أيضا يرتقي بها من تراتبية التابع إلى مكانة القائد والموجه.

2- التدين السلفي والحضور المدني:

لقد أصبحت المدينة بيئة حاضنة لأي حراك اجتماعي، أو ديني أو سياسي أو اقتصادي، في المرحلة المعاصرة، فالمدينة عكس الريف، وهي تتميز بكثافة سكانية وتوفر المرافق العمومية، وانتشار التعليم ووجود الوعي، فالأفراد وبعد تلاشي وتراجع العلاقات القرابية على حد تعبير ابن خلدون. أصبحت المدينة أو الحضارة مكان تتراجع فيه العلاقات القرابية، أو الدموية ويتجه سكان المدن، إلى علاقات أخرى حيث أنه إذا استقرت الدولة وتمهدت قد تستغني عن العصبية[13] وبما أن الدولة لا تقوم إلا على الحواضر، والمدن الكبرى، فإن أي حراك اجتماعي سيتجه ليجد لنفسه مكانا داخل المدينة، مستغلا ما فيها من إمكانيات، قد تسهل عملية الانتشار أو التجنيد والانخراط، في تلك الحركة الاجتماعية، وإذا عدنا إلى ولاية تيسمسيلت

ومن خلال واقعها نجدها ولاية ذات طابع ريفي، مع وجود تجمعات حضرية تتوفر فيها ملامح المدينة، إذ نجدها فيما يتعلق بالحراك السلفي، فضاء حاضنا لهذه الدعوة الدينية، التي تستهدف الشباب، هذا العنصر الذي يميل إلى سكنى المدينة والحاضرة طلبا لتسهيلات الحياة داخلها.

وإذا عدنا إلى عينة الدراسة سنجد أن ما نسبة 91.5% من العينة، يعيشون داخل الوسط الحضري بينما 8.5% يعيشون في وسط ريفي. وبذلك فإن الجماعة السلفية الدعوية في ولاية تيسمسيلت، هي جماعة حضرية، وأن هذا النمط من التدين قد نشأ في المدينة، وهو ينتمي إليها ويحاول أن يجعل منها قاعدة اجتماعية، لتجنيد المزيد من الأتباع والمنخرطين، حيث أن الريف معروف بهيمنة النزاعات التقليدية، وهو يميل إلى المحافظة والابتعاد على كل ما هو تجديد. بينما المدينة، هي دائما في بحث عن المتغيرات، وعن الانخراط في كل ما هو جديد، فالإنسان داخل المدينة يفقد اليقينيات، وهو في بحث دائم عن البديل، وعن ما يمكن أن يحسن من ظروف حياته، وهنا يمكن اعتبار الحراك السلفي داخل المجتمع، شكلا من أشكال المجتمع المدني، الذي قد يأخذ عدة تجليات، من بينها المبادرات المحلية للمواطنين والتنظيمات غير الحكومية، في مختلف المجالات وتحويلها إلى أسلوب حياة وثقافة بديلة[14] فالجماعة السلفية في ولاية تيسمسيلت، تسعى إلى إعادة تنظيم الحياة وفق منطلقاتها العقدية، فهي تعمل على خلق مجتمع موازي للثقافة المجتمعية السائدة.

الجدول رقم 02: توزيع المجموعة حسب الجنس والوسط الاجتماعي

الوسط الاجتماعي	الجنس				المجموع العام	
	ذكر		أنثى			
	%	العدد	%	العدد	%	العدد
حضري	91,0%	111	92,9%	39	91,5%	150
ريفي	9,0%	11	7,1%	3	8,5%	14
المجموع العام	100,0%	122	100,0%	42	100,0%	164

إذ أن المدينة توفر فرصة لهذه الجماعة، من أجل النشاط والاحتكاك بالمجتمع خاصة أنها جماعة مسالمة ومحترمة للقانون، وهي تسعى إلى تبني بعض الأشكال الحضرية من أجل التأثير

في المجتمع، والقيام بدور إيجابي كغيرها من المنظمات، حيث نجد هذه الجماعة في مدينة خميستي، التي تعتبر مركز للانتشار السلفي، إذ أن نسبة المبحثين فيها تمثل 64.3% من مجموع العينة المقدرة بـ 164 مبحوث، قد بدئوا يميلون إلى العمل الجمعوي المنظم، من خلال تكوين جمعية العلم والمعرفة، وهي أول جمعية ذات خلفية سلفية في الولاية، تهتم بالشؤون الثقافية والعلمية لهذه الفئة، وهذا يشير إلى تأثر السلفيين بالواقع المدني، الذي يعشون داخله من خلال تكوين الجمعيات، والعمل على الاندماج أكثر في المجتمع، رغم أن هذه الجمعية لم تتأسس إلا بعد الحصول على فتوى من خلال بعض المشايخ، الذين حددوا نشاطها وطبيعة عملها، إذ أن مشايخ السلفية في الجزائر لا يميلون إلى العمل الجمعوي خوفا من الانزلاق والابتعاد عن العمل الدعوي، الذي يوجهونه نحو المجتمع ككل، وهم يعتبرون تكوين الجمعيات والمنظمات نوعا من الحزبية والافتراق. لذلك هم يضعون شروط صارمة حول تكوين الجمعيات السلفية، وكيفية نشاطها، حيث تبقى بعيدة عن إحياء المناسبات الوطنية والعالمية، أو حتى الدينية، بالإضافة إلى التركيز على الأعمال الدعوية، للحفاظ على بعض المكاسب، خاصة أن عدد السلفيين داخل أي مدينة من المدن التي استهدفتها الدراسة، هو عدد قليل وليس بمقدوره إحداث تغييرات آنية وكافية. لذلك هم يسعون إلى التكتل داخل جماعات، وتبني نظام حياة متشابه، من أجل إثبات وجودهم « فعندما يخذلك الكيف فإنك تطلب النجاة في الكم وعندما يكون الدوام غير مقبول وغير معقول فإن سرعة التغيير هي التي يمكن أن تنجيك»[15] وبذلك فإن الحراك السلفي في ولاية تيسمسيلت، يعتمد على النشاط داخل المدن ومحاولة منافسة الخطاب الديني الرسمي داخل المساجد، وتقديم ممارسات مختلفة للدين، بهدف تحقيق الانتشار داخل الفضاء المدني. فرغم الصراعات بين مختلف الجماعات الدينية أو حتى تلك البعيدة عن الحقل الديني، التي تعمل باستمرار على انتقاد الجماعة السلفية، ورفض حضورها داخل الوسط المدني، واعتبارها حركة رجعية، إلا أن الوسط المدني يبقى البيئة الحاضنة للحراك السلفي، إذ أن الجماعة السلفية والتي تتعرض لهجمة نقدية تنال هويتها، إلا أنها ترد من خلال سياسة الثبات أو إدارة الظهر، وهي سياسة تعني عدم الاستجابة للانتقادات بانتظار توقف الهجوم[16]. أي أن الجماعة السلفية في ولاية تيسمسيلت، والتي تستقر داخل المدن وتكاد تكون غير موجودة على مستوى الأرياف، يمكن اعتبارها حركة دينية مدنية، موجودة في وسط غير متقبل لها، إلا أن العقل السلفي الذي يظل متعلقا بالماضي نجده مرتبطا بالمدينة، وبالوسط الحضري، باعتباره المكان الذي ستزدهر فيه الدعوة الدينية، خاصة إذا عدنا إلى بدايات الإسلام وكيف خرج المسلمون، من مكة واتجهوا نحو المدينة، إذ أن هناك ولدت جماعة المسلمين، واتجه ولاؤها، نحو المدينة بصفة عامة، بعدما تزعزعت علاقتها وارتباطاتها بمكة.

جدول 03: توزيع المجموعة حسب المدينة و الجنس

المدينة	الجنس				المجموع العام	
	ذكر		أنثى			
	%	العدد	%	العدد	%	العدد
تيسمسيلت	9,0%	11	7,1%	3	8,5%	14
ثنية الحد	16,4%	20	16,7%	7	16,5%	27
أولاد بسام	13,1%	16	4,8%	2	11,0%	18
العيون	10,7%	13	7,1%	3	9,8%	16
خميستي	50,8%	62	64,3%	27	54,3%	89
المجموع العام	100,0%	122	100,0%	42	100,0%	164

وهنا نجد المدينة لها مدلولات تاريخية وعقدية لدى الفرد السلفي، الذي يعتبرها فأل خير على انتشار عقيدته داخل الوسط الاجتماعي.

3- السلفيين وفكرة التصالح مع العلم:

إذا كان من خصائص الجماعة السلفية الدعوية في ولاية تيسمسيلت، أنها جماعة شابة، بالإضافة إلى تمركزها في المناطق الحضرية، بعيدا عن الريف، يجعلها جماعة على احتكاك دائم بمتطلبات التمدن، بالإضافة إلى استفادتها من الخصائص التي يتمتع بها الجيل الثالث، لاسيما التعليم، الذي أصبح يشكل رأس مال رمزي لدى الشباب وهو يبني عليه مختلف رهاناته، حيث يرى الباحث ناصر جابي أن أي مجتمع ينتشر فيه التعليم، سرعان ما تضطرب فيه علاقات السلطة، داخل العائلة الواحدة، إذ يصبح الابن متحكما في القراءة والأب أميا.[17] أي أن التعليم والارتقاء بالمستوى العلمي، أصبح من أهم محددات الصراع بين مختلف فئات المجتمع والجماعات المكونة له، وإن رصيد كل جماعة يتحدد من خلال مدى انتشار التعليم بين أفرادها، خاصة الجماعات المرجعية، حيث يتحول الفرد إلى مجرد تابع لمجموعة تحمل فكرا معينا، ولديها طموح للانتشار والتوسع، إذ أن المرجعيات تقوم بوظائف اجتماعية، تهدف في الأساس إلى تقويم سلوك الفرد، كما أن الفرد يرجع إليها لمعرفة السلوكات السوية التي عليه إتباعها[18].

وإذا عدنا إلى واقع الجماعة السلفية في ولاية تيسمسيلت، ومدى انتشار التعليم بين المنتمين إليها، من كلا الجنسين، نجد أن نسبة من لديهم مستوى جامعي تقدر بـ 43.9% أي أن هذه الجماعة تستهدف ذوي المستوى التعليمي الجيد، ومن خلال الملاحظات، التي أجريناها فإن أغلب هؤلاء الجامعيين من السلفيين يختارون التخصصات العلمية، كالطب والهندسة، وهذا عكس ما هو شائع حول أن السلفيين مشتغلون بالعلوم الشرعية، أو التخصصات الأدبية، إلا أن الواقع يثبت ابتعاد السلفيين عن التخصصات الاجتماعية، والإنسانية، باعتبار أن مصدرها الفلسفة، وهم يعتبرونها من بين العلوم المحرمة، كونها تميل إلى الأطروحات العقلية، بعيدا عن النقد، وإذا عدنا إلى ابن خلدون، نجده يخصص فصلا كاملا في إبطال الفلسفة وفساد منتحلها، حيث يرى أن هذه العلوم ترجمت من اليونانية إلى العربية، في عهد بني العباس، وقد أخذ بها الكثير من أهل الملة، ممن أضله الله من منتحل العلوم، وجادلوا عنها واختلفوا في مسائل من تفريعاتها، وكان من أشهرهم أبو نصر الفارابي في المائة الرابعة وعلي ابن سينا في المائة الخامسة، واعلم أن هذا الرأي الذي ذهبوا إليه باطل بجميع وجوهه[19] أي أن الجماعة السلفية هي جماعة متعلمة وهي تختار نوعا خاص من التعلم، الذي يبتعد عن الجدال والخوض في المسائل الدينية، أو تبني منهج التأويل، بالإضافة إلى أن هناك بعض الدراسات تصنف الأفراد السلفيين، على أنهم ذوي مستوى تعليمي متدني، مثل الدراسة التي قدمها الباحث فؤاد غربالي حيث صنف السلفيين على أنهم جهلة، وأنهم يعتبرون أن المؤمن أعلم من العالم، وهم لا يعترفون بالبحث والنقد والتمحيص، بسبب تدني مستواهم التعليمي[20] بينما نجد أن منهم بدون مستوى علمي داخل الجماعة السلفية، لا يمثلون سوى 02.5% لدى الذكور و 0% لدى الإناث بمعدل 01.8% من بين المبحثين، بينما من لديهم مستوى ابتدائي لا يمثلون سوى 02.4% وهذا راجع إلى انتشار التعليم كأثبات للذات، داخل الجماعة السلفية، وتحوله إلى استراتيجية لدى جماعة مدركة للتحولات المحيطة بها، خاصة أنها جماعة ناشئة وتعاني من لعنة العدد، ولذلك هي تسعى إلى المراهنة على الكيف، من خلال تقديم صورة إيجابية حول المؤمن داخل المجتمع فهو من جهة شاب وطموح ويسعى إلى أن يكون نموذج، من خلال القوة والعمل بالإضافة إلى تصالحه مع المدينة والحضارة، ولذلك ما عليه إلا تحسين مستواه التعليمي، حتى يستطيع دخول ومواجهة المجتمع، من خلال الرصيد المعرفي.

جدول 04: توزيع المجموعة حسب المستوى التعليمي و الجنس

المستوى التعليمي	الجنس				المجموع العام	
	ذكر		أنثى			
	%	العدد	%	العدد	%	العدد
1-بدون مستوى	3	2,5%		0,0%	3	1,8%
2-ابتدائي	3	2,5%	1	2,4%	4	2,4%
3-متوسط	19	15,6%	7	16,7%	26	15,9%
4-ثانوي	42	34,4%	10	23,8%	52	31,7%
5-جامعي	48	39,3%	24	57,1%	72	43,9%
6-دراسات عليا	7	5,7%		0,0%	7	4,3%
المجموع العام	122	100,0%	42	100,0%	164	100,0%

إذ أن الفرد السلفي يرى أنه يكتسب المعرفة المطلقة، حول ما هو دين، ويعتبر نفسه في مهمة تبليغ أو تعليم هذا الدين لمجتمع جاهل، وهنا يأخذ الجهل بعدا آخرا عند السلفي، حيث أنه ليس كل ذو مستوى تعليمي عالي، يمتلك الحقيقة الدينية، وهنا يحاول السلفي أن يزاوج بين المعرفة الدينية والمعرفة العلمية الوضعية، كما أن التراث السلفي يدعوا إلى طلب العلم، وإلى التوسع فيه دائما، من خلال نموذج الصحابي أو نموذج السلف الصالح، والفرد السلفي يعمل بكل جد من أجل الاقتداء بهذا النموذج وصولا إلى درجة إنكار الذات، مقابل نموذج السلف، إذا كانت أغصان الشجرة وأوراقها وثمارها تدين بنموها إلى امتداد الجذور في تربة معينة، فيمكن إذا أن نكتفي بالقول بأن الشجرة إنما هي الجذور وحدها[21].

إذا فالسلف هم الجذور، التي تقف عليها شجرة الإسلام اليوم من المنظور السلفي، ومدام السلف الصالح يقدر طلب العلم فما على الفرد السلفي اليوم، إلا أن يحسن مستواه العلمي، ويحاول الابتعاد عن نموذج الجماعة الجاهلة والمتزمتة، ولذلك نجد السلفيين يشجعون على دخول الجماعة، خاصة للذكور، بالإضافة إلى تشجيع التعليم بصفة عامة، حتى أن أغلبهم منخرطين في الديوان الوطني لمحو الأمية وهم يعتمدون على تقديم دروس إلى المنتميين إلى الجماعة، بالإضافة إلى تعليم الكبار، وذلك بهدف تحسين صورة السلفي، ومن جهة أخرى تمرير الخطاب الدعوي، من خلال الدروس التي يقدمونها، وبذلك يمكن اعتبار ظاهرة التعليم داخل الوسط السلفي قد اكتسبت طابع الظاهرة الاجتماعية، من خلال ما ذهب إليه إيميل دوركايم كونها تختص بسلوك وبنية الجماعة، وليس بالفرد المنعزل بالإضافة، إلى حالة القهر

والجبر، التي يمارسها السلوك الجماعي كظاهرة اجتماعية على الفرد[22] إذ أن تحسين المستوى التعليمي، أصبح شبه إلزامي على كل فرد ينتقل إلى الجماعة السلفية، حيث يتم إلزامهم بتحسين مستواهم العلمي، من خلال الدروس المسائية، حتى يكون هناك نوع من التطابق والتشابه بين أفراد الجماعة، ليس من خلال بلوغ نفس المستوى العلمي وإنما الانخراط في حركية التعليم وارتباط فكرة التعليم بالحراك السلفي.

وإذا عدنا إلى ولاية تيسمسيلت، التي تعتبر أحد الولايات الداخلية وذات الطابع الريفي إلا أن الحراك السلفي داخلها هو حراك يتميز بأنه يستهدف الفئات المتعلمة، التي تمثل داخلهم عنصر القيادة. بالإضافة إلى استهداف الفئات الأخرى، التي تعتبر ذات مستوى تعليمي متدني، إلا أنها في عمل مستمر من أجل تحسين مستواها التعليمي، وبذلك هي تسعى إلى أن يتخلى الفرد عن فردانيته، ويتشبع بسلوك الجماعة. حيث أن وجود الفرد، داخل الجماعات المرجعية، يجعله يعمل على محاكات سلوك الأخريين فيها، والعمل على مجاراة النمط السلوكي المقبول في تلك المرجعية[23] وبما أن ذوي مستوى التعليمي المتدني يشكلون الأقلية فهم ملزمون بالانخراط في الحركة التعليمية، ومحاكاة النمط السائد داخل الجماعة، حيث يقول انطونيو غيدنز إننا في عالم اليوم نتمتع بفرص غير مسبوقة لنصنع ونبتكر هوياتنا المتميزة[24].

وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أن الجماعة السلفية أصبحت هوية ناشئة داخل المجتمع وتفرض نفسها داخل أبنيته وأنساقه من خلال تبني مجموعة من المحددات والشروط وبذلك هي تتيح فرصة إلى كل من يرفض واقعه الاجتماعي، إلى البحث عن هوية جديدة داخل هذه الجماعة، من خلال تحفيزه على تبني أنماط معينة من السلوك تجعل من الفردانية تتراجع، إلى أدنى مستوياتها بينما تنموا الروح الجماعية ومواجهة الآخر، من خلال الجماعة. كما يمكننا الإشارة إلى أن الجماعة السلفية تسعى إلى الارتقاء الاجتماعي، من خلال تحسين المستوى التعليمي ودخول الجامعات والاشتغال بالتدريس، ومنافسة الأطروحات العلمية، التي تتنافى مع الخطاب السلفي، حيث تبلغ نسبة من لديهم دراسات عليا ماجستير ودكتوراه 04.3% من مجموع المبحثين، وهي نسبة مقبولة مقارنة بالحجم السلفي، في ولاية تيسمسيلت، والمقارنة بالمستوى التعليمي في الولاية ككل.

وكفكرة تم التوصل ألها، الجماعة السلفية الدعوية في ولاية تيسمسيلت هي جماعة متعلمة، وهي في بحث مستمر عن تحسين المستوى التعليمي، بالنسبة للمنتمين إلها، فهي ترى نفسها صورة مصغرة لما يجب أن يكون عليه المجتمع المسلم، ولذلك علها أن تكون في مستوى المهمة الموكلة إلها، وهي دعوة للمجتمع إلى التخلي عن واقعه الثقافي، بحكم أنه واقع متأزم ومشبوه،

والانتقال إلى واقعها الثقافي بصفته أصيل ولا ريب فيه، ولذلك فهي تراهن على متغير التعليم، من أجل تكوين أفراد لديهم القدرة على مخاطبة الآخر، وإقناعه، واستمالته في نهاية المطاف.

4- السلفيين ومسألة تقدير العمل:

كل الشرائع السماوية تثمن العمل، وتعطيه دورا محوريا في تكوين المجتمع، وتحقيقه الاستقلالية، خاصة إذا عدنا إلى واقعنا اليوم، حيث أصبح من الضروري على أي كيان سياسي أو اجتماعي أو ديني، يسعى إلى إيجاد مكانة له داخل المجتمع، واختيار نمط معين للحياة يتوافق مع خصوصياته، ما عليه إلا أن يحقق الاستقلالية الاقتصادية، أي من الضروري الابتعاد عن أي شكل من أشكال التمويل، خاصة فيما يتعلق بالسلطة السياسية، إذا كان هذا الكيان يريد أن يحافظ على استقلاليته، على مستوى اتخاذ القرار فلا بد عليه أن يخلق نوع من الاستقلالية الاقتصادية لاسيما في تمويل نشاطاته، واتخاذ مواقف لا تتماشى مع الوضع السياسي القائم، ولذلك فإن الجماعة السلفية في ولاية تيسمسيلت، تكاد تكون جماعة مستقلة من الناحية المالية، بما أنها جماعة دينية، يعتبر التدين داخلها بمثابة نظام اجتماعي، وهي تقدم نفسها على أنها تقدم الخلاص الأخروي للمنتمين إليها، فإنها من جهة أخرى تشجعهم على تحسين ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية، بعيدا عن كل ما هو رسمي أو مرتبط بالسياسة، ومراكز اتخاذ القرار. فهي من جهة تكبح جماح الفرد، خاصة فيما يتعلق بالعمل ومن جهة أخرى توفر نوع من الحرية والاعتماد على الذات، داخل الجماعة الدينية، التي تتحول أو تمثل بالنسبة للفرد السلفي المجتمع الصالح أو المجتمع النقي. حيث يرى دوركايم أن المجتمع وبالرغم مما يفرضه على الفرد من ضغوط وإكراهات، هو في نفس الوقت سبب لتحرره ورقيه، إذ أن نفسه ستجد خيرها وصلاح أمرها[25] وبذلك يمكن اعتبار الجماعة السلفية جماعة نشطة على المستوى الاقتصادي، فبرغم أن نسبة البطالة داخل عينة البحث تمثل 21.3% وهي تساوي نسبة من مهم مشتغلين بوظائف لدى الأجهزة الحكومية، بنسبة 21.3% إلا أن هذه الأرقام خاصة فيما يتعلق بنسبة البطالة لا تعكس واقع السلفيين، الذين يميلون في أغلبهم إلى ممارسة التجارة والأعمال الحرة، بعيدا عن الجانب الرسمي أو المقنن، بالإضافة إلى المزاوجة بين الوظيفة الرسمية والوظيفة غير الرسمية، متمثلة في المتاجرة في الألبسة الدينية والمكتبات، وتربية المواشي وصولا إلى امتهان الصباغة المحترفة، والتي ينخرط فيها الكثير من السلفيين عبر ولاية تيسمسيلت حيث أصبحوا يشكلون مجتمعات مختصة، قد حصلوا على تكوين في هذا المجال، وهم ينخرطون في هذه الأعمال الحرة تجنبا للعمل أو الوظائف الرسمية، التي تبقى حسبهم لا تخلوا من الشبهات، ولذلك فالفرد السلفي يخلق نشاط اقتصادي آخر، فهو يعيش دائما إمكانية التخلي عن الوظيفة، في حالة ما ظهرت فتوى

تقدح في وظيفته أو تصنفها في الأعمال غير الموافقة للشرع، ولذلك نجد ما نسبته 8.3% يمتهنون التجارة بينما 13.4% يمتهنون أعمال حرة.

أما إذا عدنا إلى النساء السلفيات فمن بين 42 مستجوبة هنالك 34 ماكثة في البيت بما نسبته 81% غير طارحين مسألة البطالة ضمن أولوياتهن، وبذلك فإن المرأة السلفية ليست في رحلة البحث عن العمل، وإنما هي مقتنعة بدورها داخل البيت، وهذا ما يحيلنا إلى وجود نوع من تقسيم العمل، انطلاقا من الجنس، أي أن دور المرأة مقتصر داخل بيتها، وهي مقتنعة به، بينما دور الرجل خارج البيت. وهذا يحيلنا إلى نوع من أنواع تقسيم العمل والتخصص الوظيفي على أساس الجنس، حيث تفرض التعاليم الدينية داخل المدرسة السلفية، أدوارا ووظائفا، محددة لكلا الجنسين، وهي تعتبر الخروج عنها بمثابة الخروج عن الفطرة، حيث نجد السلفيين في خطاباتهم اليومية يعتبرون تراجع القيم وتقهقر الأخلاق في المجتمع، إنما يرجع إلى تراجع حضور الدين في الحياة العامة. إن هذه النظرة تكاد تكون مطابقة لما صرح به فريديريك شلاينر ماخر في نهاية القرن الثامن عشر: إن حياة البشر الفكرية من دون دين محرومة من أنبل مكوناتها[26] غير أن وجود المرأة السلفية في البيت لا يمنعها من ممارسة النشاط الاقتصادي حيث أن 4.8% يمارسن التجارة بطريقة غير مباشرة، عن طريق أزواجهن أو أقاربهن، إن هذه الصورة ما هي إلا استدعاء للماضي من خلال نموذج خديجة بنت خويلد زوجة النبي، صلى الله عليه وسلم حيث عهدت بتجارتها إلى النبي، وبذلك فإن الجماعة السلفية تحاول أن تقتفي أثر تلك الصورة وتعكسها، من خلال نماذج حية في الواقع، حيث تثبت الجماعة السلفية أنها لا تحرم المرأة من حق التملك، أو التجارة، إلا أنها تجعلها داخل ضوابط شرعية حيث أن 7.1% من البحوثات يمارسن أعمال حرة، داخل بيوتهن. وهنا نجد الجماعة السلفية تشير بوضوح إلى أن المرأة يمكنها أن تساهم في الحياة الاقتصادية وأن لها ذمتها المالية المستقلة، لكن دون المشاركة في فضاء ما خارج البيت الذي يعتبره السلفيون مجالا ذكوريا بامتياز.

جدول رقم 05: توزيع المجموعة حسب الجنس والعمل

العمل	الجنس				المجموع العام	
	ذكر		أنثى			
	%	العدد	%	العدد	%	العدد
بطال	35	28,7%		0,0%	35	21,3%
موظف	35	28,7%		0,0%	35	21,3%
فلاح	5	4,1%		0,0%	5	3,0%
تاجر	28	23,0%	2	4,8%	30	18,3%
أعمال حرة	19	15,6%	3	7,1%	22	13,4%
ملكة في البيت		0,0%	34	81,0%	34	20,7%
متمدرس		0,0%	3	7,1%	3	1,8%
المجموع العام	122	100,0%	42	100,0%	164	100,0%

هذا الطرح الذي يختلف تماما عن الخطاب السائد لدى السلطة السياسية، والمدارس الحديثة، التي تطالب بالمساواة بين الرجل والمرأة، وما لم ما تنفك الجمعيات النسوية عن المناداة به، كما أن المرأة داخل البيئة السلفية، مقتنعة بدورها ومكانتها التي تحددها النصوص، وهنا نجد المقدس يستخدم لكبح التجاوزات السياسية والاعتراض عليها[27] فالخطاب الحداثي من وجهة نظر السلفيين يعتبر تجاوز واستهداف للدين إلا أن الرد عليه يكون من خلال خلق ثقافة جديدة، تنافس تلك الثقافة السائدة في المنظومة الاجتماعية.

وإذا عدنا إلى مسألة الزواج كرابط مقدس لدى المجتمعات البشرية بصفة عامة، إلا أنه داخل الجماعة السلفية في ولاية تيسمسيلت يعتبر من أهم ممارساتها، وأكثرها تقديسا. خاصة أن السلفية كجماعة ناشئة، لازالت تعاني إشكالية الحجم وقوة التأثير، ولذلك هي مطالبة بتشجيع أفرادها على الزواج، في سن مبكر من أجل خلق أجيال جديدة، يتم تربيتها على القيم والمبادئ السلفية، حيث يقول الشيخ الألباني بعد تصفية العقيدة وتصفية الفقه وتصفية كتب التفسير وإيضاح ما يجب الانطلاق والسير فيه لبد من تربية النشء الإسلامي الجديد، على هذا العلم الصحيح، وهذه التربية هي التي ستنشأ لنا المجتمع الإسلامي الصافي[28].

لذلك الزواج يكتسي أهمية ديموغرافية، جدا لدى الجماعة السلفية، التي هي في مرحلة بناء النواة الصلبة في ولاية تيسمسيلت، ولذلك نجد نسبة الزواج داخل عينة البحث تعادل

57.9% بينما نسبة الطلاق لا تتجاوز 0.6% وهذا يعكس ذلك التعاون، الذي يتميز به السلفيون فيما بينهم، حيث تنتشر بينهم فكرة الزواج الجماعي وتخفيض قيمة المهور، والتخلي عن الحفلات الفاخرة، ولذلك أصدر محمد علي فركوس بصفته أكبر علماء السلفية في الجزائر، فتوى على موقعه الالكتروني يدعوا فيها السلفيين إلى الزواج من السلفيات وتجنب العاميات، وذلك من جهة من أجل الحفاظ على تماسك الجماعة، ومن جهة أخرى تجنب التصادم الثقافي بين البيئة السلفية، والبيئة العامية، وهذا ما يمكن اعتباره شكلا من أشكال الزواج الداخلي لدى الجماعات، التي تشعر بالاغتراب الثقافي في سعيها للحفاظ على كينونتها، من خلال تقوية العلاقات الداخلية، حيث يرى دوركايم أن حياة التلاحم الاجتماعي، وسيادة القيم يمكن أن يصيبها نوع من الفتور والذبول، ولذلك لا بد من وجود من يتكفل بإحيائها، من خلال الأعياد الدينية، كما أن المواعظ والاحتفالات الدينية لها دور بارز في الحفاظ على وحدة الجماعة[29].

ولذلك نجد حفلات الزواج لدى الجماعة أصبحت تأخذ شكلا من أشكال التضامن وإظهار التماسك والوحدة بين أفرادها، في مواجهة المجتمع الآخر. حيث أصبحت أعراسهم تشكل استثناء داخل المجتمع، من حيث طرق تنظيمها والممارسات التي تتخللها، بالإضافة إلى المستوى العالي، من التعاون والتكافل بين أفرادها، إذ لا يمكنك تميز حفل زواج ثري من أثرياء السلفيين أو فقرائهم، و ذلك بسبب انخفاض التكاليف من جهة، ومن جهة أخرى بسبب مظاهر التعاون بينهم.

الجدول رقم 06: توزيع المجموعة حسب الجنس والحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية	الجنس				المجموع العام	
	ذكر		أنثى			
	%	العدد	%	العدد	%	العدد
1- عزاب	52	42,6%	12	28,6%	64	39,0%
2-متزوج	67	54,9%	28	66,7%	95	57,9%
3-أرمل	1	0,8%	1	2,4%	2	1,2%
4-مطلق		0,0%	1	2,4%	1	0,6%
5-متعدد الزوجات	2	1,6%		0,0%	2	1,2%
المجموع العام	122	100,0%	42	100,0%	164	100,0 %

وإذا عدنا إلى الأحياء والمناطق التي يتمركز فيها السلفيون، فما عادا كونهم جماعة حضرية بعيدة عن الريف، أما داخل التجمعات الحضرية فليس لديهم تجمعات سكنية معينة، حيث نجدهم متوزعين بنسب متقاربة بين الأحياء الشعبية بنسبة 17% أو السكنات الاجتماعية بنسبة 19% وصولا إلى الأحواش بـ 25.6% بينما السكن الوظيفي لا يتعدى 2.4% وهذا يحيلنا إلى نفور السلفيين من كل ما هو نظامي والبحث عن مجال من الحرية، من أجل ممارسة حياتهم، التي توجد فيها نسبة مركزة من الدين بكل حرية، بعيدا عن كل شكل من أشكال التصادم مع ما هو رسمي.

جدور رقم 07: توزيع العينة حسب الجنس ونوعية السكن

نوع السكن	الجنس				المجموع العام	
	ذكر		أنثى			
	%	العدد	%	العدد	%	العدد
1-ملكية	26	21,3%	6	14,3%	32	19,5%
2-إيجار	19	15,6%	5	11,9%	24	14,6%
3-اجتماعي	22	18,0%	10	23,8%	32	19,5%
4-تساهمي	4	3,3%	1	2,4%	5	3,0%
5-وظيفي	2	1,6%	2	4,8%	4	2,4%
6-سكن ريفي	4	3,3%	1	2,4%	5	3,0%
7-حوش	33	27,0%	9	21,4%	42	25,6%
8-فوضوي	12	9,8%	8	19,0%	20	12,2%
المجموع العام	122	100,0%	42	100,0%	164	100,0 %

أما إذا عدنا إلى المستوى المعيشي نجد أن 70.7% من المبحثين يعتبرون أنفسهم ميسوري الحال، بينما نسبة الأثرياء لا تتجاوز 1.6% ومن هم في فقر مدقع لا تتجاوز 0.6% إن هذه الأرقام يمكن أن لا تعكس حقيقة الجماعة السلفية، والتي من خلال التعاليم الدينية التي تمتثل لها، تعتبر أن التصريح بالفقر، هو نوع من عدم الاعتماد على الله، ولذلك فإن أغلب إجاباتهم في حلة السؤال على المستوى المعيشي تبدأ بكلمة الحمد لله، بالإضافة إلى أن الجماعة السلفية ومن خلال العلاقات التي تربطهم فيما بينهم يظهرون درجة كبيرة من التكافل، خاصة أموال الزكاة والمساعدات التي يحصلون عليها من طرف سلفيين من ولايات أخرى، فإنها توزع داخل الجماعة، وبذلك هم يشعرون بنوع من الحماية الاجتماعية، داخل الجماعة التي ينتسبون إليها.

من خلال هذه الطقوس التضامنية، فهي من جهة تقدم الدعم المادي للفئات الهشة داخل الجماعة ومن جهة أخرى هي أسلوب دعوي وتحفيزي للعوام من أجل الانضمام، والاستفادة من الدعم المادي. كما أن هذه السلوك السائدة داخل الجماعة السلفية ينبع من خلال المعتقد الديني، الذي يجب أن يكون اجتماعي ويميز الجماعة عن غيرها، بالإضافة إلى تعلقه بما هو مقدس وبما هو دنيوي من جهة أخرى[30].

جدول رقم08: توزيع العينة حسب الجنس والمستوى المعيشي

المستوى المعيشي	الجنس				المجموع العام	
	ذكر		أنثى			
	%	العدد	%	العدد	%	العدد
1-جيد جدا	9	7,4%	1	2,4%	10	6,1%
2-جيد	19	15,6%	9	21,4%	28	17,1 %
3-ميسور الحال	88	72,1%	28	66,7%	116	70,7 %
4-متدني	6	4,9%	3	7,1%	9	5,5%
5-متدني جدا		0,0%	1	2,4%	1	0,6%
المجموع العام	122	100,0%	42	100,0%	164	100,0 %

وبذلك فإن الجماعة السلفية في ولاية تيسمسيلت تكاد تكون مكتفية على ذاتها، كما أنها في مرحلة البناء الداخلي، ولذلك فهي تركز على العلاقات الداخلية أكثر من الخارجية، كونها لا تزال جماعة في مراحلها الأولى للتبلور، لذلك تخشى من الهزات الثقافية وفشل فكرة الوجود والاستمرارية.

5- **العقيدة كأساس لبناء الجماعة الجديدة:**

من أهم خصائص أي جماعة مستقلة، داخل المجتمع العام أن يكون لديها نسق من الممارسات، التي تميزها وتعطيها هويتها الخاصة، لاسيما إذا كانت هذه الجماعة، جماعة دينية، تجعل من نمط التدين الفارق الأساسي بينها وبين البيئة التي نشأت داخلها، ولذلك فإن الجماعة السلفية داخل ولاية تيسمسيلت، تشكل نمط ثقافي مغايرا ويختلف اختلافا جذريا من الممارسات الدينية في المجتمع الكلي، الذي تعيش داخله، إلا أننا لا نستطيع التصريح بأن النموذج السلفي، يشكل ثقافة موازية للمجتمع الأصلي ككل، لكن يمكن القول أن الجماعة السلفية هي جماعة تخومية، إذ تعيش على أطراف الثقافة الأصلية، محاولة خلق، ورسم مجموعة من الحدود الفاصلة بينها وبين الثقافة الأصلية، أو لنقول التدين الرسمي، الذي

تشرف عليه السلطة السياسية من خلال المؤسسات التقليدية، كالمساجد والزوايا، التي تعرف نوعا من الأزمة في نقل وتبليغ المعرفة الدينية، وذلك لارتباطها بالتحولات التي يمر بها المجتمع ككل[31].

حيث أن التوجه السلفي داخل ولاية تيسمسيلت، يعتبر توجه حديث النشأة وفي نفس الوقت هو مبني على مسألة العقيدة كمرتكز أساسي، وأحد أهم مظاهر التلاحم والتماثل بين أفراد الجماعة، ولذلك هي تحاول دائما خلق مسافة بينها وبين المجتمع، حيث يظهر تمايز واضح من حيث اللباس وتعاطي مع الشأن الديني، بالإضافة إلى وجود صفات تتبناها الجماعة السلفية بما يميزها عن غيرها من الجماعات، أو حتى داخل الجماعة نفسها، هذا التميز يقوم على مدى التحكم في العلم الشرعي، حيث أن 3% من المبحثين فقط يعتبرون أنفسهم من العوام وهنا نجد كلمة أو مفهوم العامي تشير إلى كل من لا يتبنى نفس التأويل للدين، الذي تتبناها الجماعة السلفية، ولذلك تبدوا هذه الجماعة منعزلة عن المجتمع، وهي تصر على إظهار حالة التمايز والاختلاف بينها وبين الآخر، الذي تعتبره غير ملم بالمعرفة الدينية الصحيحة. إن هذه الخاصية الانعزالية يرجعها بعض الباحثين إلى البيئة التي نشأت فيها السلفية في المملكة العربية السعودية، حيث أنها لم تعرف الاحتكاك بمجتمعات أخرى ولذلك هي ترفض التعامل معها وتنظر إلى كل وافد إلى الجماعة بنوع من الشك والربا[32].

وإذا عدنا إلى التنظيم الهرمي داخل الجماعة نجدها مقسمة إلى مجموعة من الفئات لكن بشكل غير رسمي، ويتحكم فيها مستوى العلم الشرعي، حيث نجد طبقة العلماء وهي على رأس الهرم، غير أنه في ولاية تيسمسيلت وداخل الجماعة السلفية ليس هناك من بلغ درجة العالم، حيث نجد فئة طالب علم متقدم وهي لا تشكل إلا نسبته 2.4% وهم من بلغوا مستوى مقبول من العلم، وقد نصح شيوخ العاصمة بالرجوع إليهم في بعض المسائل، التي يمكنهم الحكم فيها، حيث نجد من أبرزهم (ب- أ) الذي تمت تزكيته من طرف محمد علي فركوس، وهو من سلفيي مدينة خميستي والتي تعتبر مركز الحركة السلفية في الولاية، تليها نسبة طلبة العلم وهم الفئة التي تتفرغ لدراسة العلم الشرعي، حيث نجدها تشكل 21.3% تليها فئة المبتدئين بنسبة 31.7% وهم يتميزون بتدني مستواهم في العلم الشرعي إلا أنهم يبذلون جهد واضح في تحصيل العلم الشرعي بمختلف فروعه ثم نجد فئة عامي ملتزم وهم يشكلون الأغلبية داخل الجماعة بنسبة 41.5% وهم حديثو العهد بالانتقال إلى الجماعة والالتزام بتعاليمها، إلا أنهم ملزمون .بتبني سلوكاتها الظاهرية، والمشاركة في الدورات العلمية والدروس، التي تقدم بانتظام، خاصة في العقيدة ومعرفة التوحيد، حيث يرى علماء السلفية ومن بينهم الألباني: أنه لابد من تصفية العقيدة الإسلامية كأول خطوة بالإضافة إلى تصفية كتب الفقه

وكتب التفسير والسيرة والحديث.[33] إن عملية التربية التي يتلقاه السلفيون داخل الجماعة، تقدم في شكل طقس، حيث تؤدى العبادات والشعائر التعبدية الدينية بشكل جماعي، وهي تأخذ مدلول الشعيرة في الفكر الإسلامي، وهي تهدف إلى نقل الإنسان من حالة الفرد إلى حالة المؤمن[34].

جدور رقم09: توزيع العينة حسب الجنس والمستوى في العلم الشرعي

مستواك في العلم الشرعي	الجنس				المجموع العام	
	ذكر		أنثى			
	%	العدد	%	العدد	%	العدد
1-عامي	2	1,6%	3	7,1%	5	3,0%
2-عامي ملتزم	48	39,3%	20	47,6%	68	41,5%
3-مبتدأ	36	29,5%	16	38,1%	52	31,7%
4-طالب علم	32	26,2%	3	7,1%	35	21,3%
5-طالب علم منتهم	4	3,3%		0,0%	4	2,4%
المجموع العام	122	100,0%	42	100,0%	164	100,0%

ولذلك نجد الجماعة السلفية داخل ولاية تيسمسيلت تحاول استغلال كل المناسبات من أجل تمرير خطابها الديني والقيام بنوع من أنواع التعبئة خاصة أنها ترفض العمل بشكل رسمي، لذلك أصبحت البيوت مكانا لإلقاء الدروس في العقيدة وشرح المتون، حيث يمكن الإشارة إلى الحلقة العلمية التي تعقد بشكل منتظم في مدينة خميستي، كل يوم جمعة، بحضور سلفيين من مختلف مناطق الولاية، حيث يتلقون دروس في المسائل الدينية، لاسيما شرح كتب العقيدة، إذ يمكن العودة إلى الجدول التالي لنجد أن كتب العقيدة تسيطر على القراءات التي يحرص عليها السلفيون في بداية التزامهم الديني، حيث نجد كتاب التوحيد والأصول الثلاثة وبعض الشروح في العقيدة، تسيطر على النمط التعليمي، الذي يتلقها الفرد السلفي داخل الجماعة، بالإضافة إلى تقديم دروس في اللغة العربية التي تحضي بأهمية كبيرة داخل الجماعة السلفية، حيث تعتبر من بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية، إذ أن اكتساب ونقل المعتقدات الدينية يعتبر من بين العمليات التي تعتمد على تقييم السلوك الديني، بالإضافة إلى إتقان اللغة العربية، التي تساعد هي الأخرى على التعبير عن المشاعر الدينية[35].

وهنا تتجلى أهمية المعتقد الديني داخل الجماعة السلفية، حيث يعتبر مدى التحكم في معرفة العقيدة الصحيحة، والقدرة على مناقشة الجماعات الأخرى، دليلا على القدرة العلمية للفرد السلفي، وتقدمهم في مستويات المعرفة الشرعية. وإذا عدنا إلى مسألة حفظ القرآن داخل

الجماعة نجد أن 81.1% من المبحثين يحفظون بعض السور من القرآن فقط، بينما نسبة من يحفظون القرآن كاملا لا تتجاوز 3.7% وهذا يشير إلى أن السلفيين عكس الجماعة الدينية الأخرى، لاسيما الصوفية التي تعتبر الثقافة الأصيلة للمجتمع، حيث تعطي أهمية بالغة لحفظ القرآن كاملا بينما تهمل العلوم الأخرى، خاصة علم الحديث، إلا ان العقل السلفي أكثر اهتماما بتلقي العلوم الشرعية الصحيحة، فهو يعتبر أن كتب الحديث، ماهي إلا شرح وتفسير للقرآن، وهي تساعد على استنباط الأحكام منه، وهو يعتبر أن مجرد حفظ القرآن لا يمنع من الانحراف، عن العقيدة الصحيحة، حيث ومن خلال الحوارات التي أجريناها مع بعض المبحثين، فهم يرون أن أغلب من يمارسون السحر والشعوذة، هم يحفظون القرآن، لكن دون علومه المساعدة على فهمه، وتطبيقه، لاسيما علم الحديث لذلك يزاوج العقل السلفي بين دراسة القرآن ودراسة الحديث حيث أن القرآن يقدم توجهات عامة، تبقى بحاجة إلى وسيلة أخرى، تقوم بشرحها وتبسيطها واستنباط الأحكام منها، لاسيما في الجانب العقدي والأخلاقي، ولذلك فإن إقامة الدروس وإلقاء المواعظ داخل الجماعة، التي تحولت إلى موجه لسلوك الأفراد، أصبح يقدم دروسا في التربية الروحية والأخلاق، مع مزجها دئما بالعقيدة، من خلال فكرة المراقبة اللاهية لنا، في أفعلانا وأقوالنا، وهنا يصبح الفرد السلفي تابع للجماعة، إذ يتلقى منها المعرفة الدينية كما أنها بديل للمؤسسات الرسمية، خاصة أنها لا توجد في الإسلام مؤسسة تشرع للعقيدة، لكن علوم القرآن تحصن النص، إذ تفرض على المفسر والمفتي التمتع بشروط خاصة[36].

جدول رقم 10: توزيع المجموعة حسب الجنس وحفظ القران الكريم

كم تحفظ من القران الكريم؟	الجنس				المجموع العام	
	ذكر		انثى			
	%	العدد	%	العدد	%	العدد
1-كله	6	4,9%		0,0%	6	3,7%
2-نصفه	10	8,2%		0,0%	10	6,1%
3-ربعه	13	10,7%	1	2,4%	14	8,5%
4-بعض السور	93	76,2%	40	95,2%	133	81,1%
5-لا شيء		0,0%	1	2,4%	1	0,6%
المجموع العام	122	100,0%	42	100,0%	164	100,0%

إن هذه الشروط تتوفر في الجماعة الموجه للعقل السلفي، حيث أنه يولي أهمية كبيرة لعلوم القرآن، كما أن المفتي السلفي عندما يجيبك فإنه يحاول أن يعطيك الدليل من القرآن ثم ينتقل إلى السنة ثم أقوال العلماء، حيث أصبحت إجابته أكثر إقناعا من المفتي الرسمي، الذي

يختصر الإجابة في يجوز أو لا يجوز وهو يرد على أي استفسار من طرف السائل أننا مالكيون ولذلك وجد الشباب اليوم في المنهج السلفي وسيلة للتمرد على العادات والتقاليد والتدين الشعبي[37].

ومن خلال كل هذا يمكن القول إن الجماعة السلفية، في ولاية تيسمسيلت هي جماعة مبنية على العقيدة، حيث يعتبر الجانب العقدي داخلها من أهم أشكال التميز و الاختلاف عن باقي الجماعات الأخرى، وهي تعطي أهمية كبيرة لمعرفة التوحيد لدى أفراد المنتمين إليها، وهي تلعب دور المربي للأفراد المنتمين إليها، من خلال الطقوس والشعائر، التي تؤدي إلى تكتل جماعي، وبذلك تكون التربية داخلها من خلال نماذج تطبيقية حية، إذ يرى مالك ابن نبي أن التربية ليست مجموعة من القواعد والمفاهيم النظرية التي ليس لها سلطان على الواقع[38].

مناقشة الفرضية:

السلفية كجماعة دينية في الوسط التيسمسيلتي، أصبحت واقعا موجودا، وله حيزه الخاص، ورغم عيش السلفيين داخل المجتمع الأصلي، وممارسة حياتهم داخله، إلا أنهم منسحبون، من الكثير من ممارساته، الدينية والثقافية والاجتماعية، وهم يعملون على تبني نموذج مغاير، ومزاحم لما هو محلي، ولذلك يمكن القول بأن الفرضية قد تحققت، حيث ان هناك نوع من الاندماج والانسحاب في نفس الوقت، لدى الجماعة السلفية في تيسمسيلت.

التوصيات:

ضرورة مراقبة التطورات الحاصلة على المستوى الديني

حماية الامن العقدي من التدفقات العبر قومية

فتح حوارات دينية لتحديد اساسيات المرجعية الوطنية

الاستفادة من الوعي الوطني لدى الجماعة السلفية

ضمان حرية التدين اذ لم تتعارض مع روح المواطنة

خاتمة: من خلال هذه الدراسة يمكن القول إن الجماعة السلفية في ولاية تيسمسيلت، وعلى محدودية عدد المنتمين غليها، استطاعت أن تميز نفسها عن المجتمع الاصلي، عن طريق تبني ممارسات اجتماعية وثقافية، لا تتخذ من الثقافة المركزية مرجعية لها، كما أن هذا التمايز

يريد السلفيون من خلاله دعوة أفراد المجتمع إلى التخلي عن السائد والمحلي، والنزوع نحو كل ما هو مختلف، ويقدم الخلاص الدنيوي، عن طريق التضامن بين افراد الجماعة، والخلاص الاخروي عن طريق تقديم حقائق دينية جديدة وبطريقة متجددة، إن هذه الاستراتيجية التي يتبنها السلفيون، بصفتهم جماعة مرجعية، حولتهم الى قوة فرضت احترامها داخل المجتمع، رغم اعتراضه عليها، كونها تعتمد على قوة الدليل والنص، مما حولها الى جماعة مهابة اجتماعيا، كما سهل من عملية اقتداء الشباب والكثير من المثقفين بها، حيث اصبح السلفيون، يشرفون على مراسيم الزواج، لدى العوام، وكذلك الجنائز، والاعتماد عليهم في الرقية الشرعية، وفي الفتوى، وهذا دليل على تنامي هذه الجماعة، ليس من ناحية العدد، ولكن من ناحية النفوذ والهيمنة الدينة والثقافية.

الهوامش:

[1]- انطونيو غيدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، الطبعة الرابعة، ص 495.

[2]- إميل دور كاييم، علم اجتماع الفلسفة، ترجمة حسين أنيس، المكتبة الأنجلو مصرية، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، سنة 1966 ، ص 14.

[3]- أحمد رقاد، ظاهرة الدين والمعتقد في تاريخ الونشريس القديم، مجلة أبحاث منشورات دار الثقافة تيسمسيلت العدد 02، ماي ،2013 ص 54.

[4]- محمد السويدي، علم الاجتماع السياسي ميادينه وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بدون طبعة، بدون سنة ، ص 73

[5]- حسان الجيلاني، الجماعات في التنظيم دراسة نفسية اجتماعية للجماعات في المنظمة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بدون طبعة، 2015 ص 15.

[6]- بيوتر زومباكا، عودة القيم في النظرية السوسيولوجية، ترجمة محمد مصباح، مجلة إضافات، العدادان 20-21 خريف وشتاء 2012- 2013، ص 29.

[7]- دراسة مقدمة إلى الأمانة العامة للإتحاد المغاربي، سنة 2009 بعنوان أوضاع الشباب المغاربي، ص 33.

[8]- ناصر جابي، مأزق الانتقال السياسي في الجزائر- ثلاثة أجيال وسناريوان، للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2011، ص 19.

[9]- عبد الهادي أعراب، (فقهاء الشرط وتحولات الحقل الحقل الديني القروي بالمغرب)، مجلة اضافات، العددان 20- 21 خريف وشتاء 2012- 2013 ص 99.

[10] المرجع نفسه، ص 115.

[11] - هشام جعيط، في السيرة النبوية، 02 تاريخية الدعوة المحمدية في مكة، دار الطليعة، لبنان، الطبعة الأولى، 2007، ص 204

[12] - فيوريخ، أصل الدين، ترجمة أحمد عبد الحليم عطية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، 1991، ص 7.

[13] - عبد الرحمن ابن زيد ولي الدين ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الاولى، 2003، ص 156.

[14] - عزمي بشارة، المجتمع المدني دراسة نقدية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان، الطبعة السادسة، بدون سنة، ص 45.

[15] - زيجمون باومن، الحب السائل عن هشاشة الروابط الإنسانية، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، الطبعة الأولى، 2016 صفحة .96

[16] - الكس ميكشيليلي، الهوية، ترجمة علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعة، سوريا، طبعة الأولى، 1993، ص 167.

[17] - ناصر جابي مرجع سبق ذكره، ص 05

[18] - محمود شامل حسن، مرجعيات المرجعيات وأثرها في تقرير توجهات الافراد، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، الطبعة الأولى 2010.، ص 16.

[19] -عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين. ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ص 534.

[20] - فؤاد غربالي، الشباب والدين في تونس ،دراسة أشكال الهوياتية الجديدة لدى الشباب التونسي، مجلة إضافات، العدد 23-24 صيف وخريف،2013 ص 25.

[21] - آن وولتوك و جان فرنسوا كليمان وآخرون، التحليل النفسي للثقافة العربية الإسلامية، دار بدايات سوريا، بدون طبعة ، 2008، ص 05.

[22] - عامر مصباح، علم الاجتماع الرواد والنظريات، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2016، ص 134.

[23] - محمود شامل حسن، مرجع سبق ذكره، ص 16.

[24] - انطونيو غيدنز، مرجع سبق ذكره، صفحة 91.

[25] - إيميل دوركايم، علم اجتماع الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص 14.

[26] - عبد الجبار الرفاعي، تمهيد لدراسة فلسفة الدين، مكتبة الفكر الجديدة، العراق، الطبعة الأولى، 2014، ص 105

[27]-جورج بالوندي، الانثروبولوجيا السياسية، ترجمة علي المصري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الثانية، 2007، ص 151.

[28]-أحمد سالم وعمر بسيوني، ما بعد السلفية: قراءة نقدية في الخطاب السلفي المعاصر، مركز نماء للبحوث والدراسات، لبانان، الطبعة الاولى،بدون سنة، ص 568.

[29]- إيميل دوركايم، علم اجتماع الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص 161.

[30]- فراس السواح، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، منشورات علاء الدين، سوريا، الطبعة الثالثة 1998، ص 26.

[31]- خالد محمد، التحولات الاجتماعية والممارسات الدينية وقائع ملتقى أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية الجزائر، 1999، ص 51

[32]- سعد الدين إبراهيم، النظام الاجتماعي العربي الجديد، دراسة في الأثار الاجتماعية للثورة النفطية،. مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة الثالثة، أكتوبر 1985 ص 168/ 169.

[33]- عمر بسيوني، ما بعد السلفية ، مرجع سبق ذكره، ص 567.

[34]- منصف المحواشي، الطقوس وجبروت الرموز قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحول، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الانثربولوجيا الاجتماعية الثقافية للجزائر، العدد 49، 2010، ص 04.

[35]- محمود شامل حسن، مرجع سبق ذكره، ص 37.

[36]- عبد الوهاب المؤدب، أوهام الإسلام السياسي، دار النهار، لبنان، الطبعة الأولى، 2002، ص 144.

[37]- إبراهيم الحيدري، سيسيولوجيا العنف والإرهاب، دار الساقي، لبنان، الطبعة الأولى، 2015، ص 16.

[38]- مالك ابن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور، دار الفكر الجزائر، الطبعة الأولى، 2013، ص 99.